الباب الأول
قلائد الجُمان في فضائل القرآن

الفصل الأول
خصائص القرآن وأوصافه

أولًا - تعريف القرآن:

القرآن العظيم هو كلام رب العالمين وهو أشهر وأظهر من أن يُعَرَّف إذ هو كلام رب العالمين الله خالق الخلق ومالك الملك ورب كل شيء جل جلاله ومع ذلك فقد حرص أهل العلم على تعريفه تعريفًا جامعًا مانعًا فقالوا:

القرآن: هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ، المعجز بنفسه، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلًا متواترًا بلا شبهة، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، المتحدي بأقصر سورة منه(١).

قال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما الكتابُ فهو القُرآن	**بينَ الضَّلالِ والهُدى فرقانُ**
المُعْجِزُ المُفْحِمُ للأضدادِ	**بُرهانُ حقٍّ أبد الآباد**
كلامُ ربِّي منزلٌ تنزيلا	**لا يقبل الخُلف ولا التبديلا**
به الإله خلقه تَعَبَّدًا	**بين تلاوة تدبرًا ثم اهتدى فرقانُ(٢)**

(١) مذكرة الشنقيطي (ص:٥٥)، المدخل لابن بدران [٨٧]، «الوجيز» للدكتور عبد الكريم زيدان (ص:١٥٢)، و«معالم أصول الفقة» للجيزاني (ص:١٠٢).

(٢) في منظومة له بعنوان: «وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول».

obeikandl.com

ثانيًا- أسماء القرآن:

سمي ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- كتابه عدة أسماء وقد أوصل بعض العلماء كالفيروز آبادي أسماء القرآن إلى مائة اسم(١).

١- وذكر العلماء للقرآن أسماء كثيرة.

ومن أشهر أسماء القرآن التي وردت في القرآن الكريم ما يلي:

١- القرآن:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

٢- الكتاب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١-٢].

٣- الفرقان:

قال ربنا جل جلاله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

[الفرقان: ١]

٤- الذكر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾

[القلم: ٥١]

---

(١) «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٦٣)، و«البرهان» للزركشي (١/ ٣٤٣- ٣٤٦) وقد ذكر كثيرًا من هذه الأسماء شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٣٣) ط: العكبيان فارجع إليها إن شئت.

obeikandl.com

٥- التنزيل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢-٥].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٢-٥].

٦- أحسن الحديث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

٧- النبأ العظيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١-٢].

قال بعض أهل العلم: إن المراد بالنبأ العظيم القرآن وذلك لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧-٦٨] (١).

ثالثًا- خصائص القرآن:

١- القرآن كلام الله تعالى حقيقة وهو اللفظ والمعنى جميعًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: والقرآن هو القرآن الذي يعلم المسلمون أنه القرآن حروفه ومعانيه، والأمر والنهي هو اللفظ والمعنى جميعًا (٢).

٢- القرآن معجز في لفظه ونظمه ومعناه فالخلق كلهم لو اجتمعوا عاجزون عن الإتيان بمثل سورة واحدة من القرآن وسوف نتحدث عن الإعجاز بشيء التفصيل فيما يلي بإذن ربنا سبحانه وتعالى.

---

(١) «التسهيل لتأويل التنزيل» جزء عم (١ / ١٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٣٦).

obeikandl.com

٣- محفوظ من الزيادة والنقصان: لن يستطيع مخلوق أبدًا أن يزيد القرآن أو ينقص منه حرفًا لأن الله تعالى تولى حفظه، وما تولى الله حفظه فلن تصل إليه أيدي العابثين المفسدين قال رب العالمين وأحكم الحاكمين في كتابه الحكيم المبين: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] وها هو القرآن قد مضى على نزوله على رسول الله ﷺ أربعة عشر قرنًا من الزمان ولا زال القرآن هو القرآن ما زيد فيه حرف وما نقص منه حرف.

فالقرآن الذي تعبد به الرسول والصحابة لربهم هو ذاته القرآن الذي نتعبد به اليوم وبعد اليوم وإلى قيام الساعة نتعبد به لله جل جلاله، ولم ولن ينقص منه أو يزاد فيه، لم ولن نجد فيه تحريفًا أو تبديلًا أو تغييرًا لأنه كلام الله وحكمه وأمره وهو الذي تولى بنفسه حفظه.

٤- القرآن مهيمن على الكتب السابقة ومصدق لها.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨].

يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الذي هو القرآن العظيم أفضل الكتب وأجلها بالحق أي إنزالًا ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ ومشتملًا على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها وأخبرت به، فصار وجوده مصداقًا لخبرها ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ أي: مشتملًا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية، فهو الكتاب الذي تتبع كل حق، جاءت به الكتب السابقة فأمر به وحث عليه وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة.

obeikandi.com

فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه(١).

قلت: رسولنا محمد ﷺ ليس بعده رسول والقرآن ليس بعده كتاب فكما أن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء فكذلك القرآن هو خاتم الكتب السماوية لذا فقد حوى هذا القرآن أسباب السعادة الخالدة لكل الخلق في كل عصر وآن، فهو رسالة الله الخالدة، ومعجزة الإسلام الباقية، فالحق كل الحق ما جاء به والباطل كل الباطل ما نهى عنه لأنه كلام الله الملك الحق جل جلاله.

٥- من خصائص القرآن أنه عربي:

قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يُوسُفَ: ٢].

وقال جل ذكره وعز اسمه سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٩٢-١٩٥].

فليس في القرآن الكريم لفظ غير عربي، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميع كتاب الله نزل بلسان العرب» وقال: « ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب»(٢).

ولا يشكل على كون القرآن عربيًا وجود بعض الكلمات الأعجمية فيه مثل: المشكاة، والاستبرق إذ يمكن حمل هذه الألفاظ التي يُقال إنها أعجمية على واحدٍ من الوجوه الآتية:

أولًا- هذه الألفاظ إنما هي عربية لكن قد يجهل بعض الناس كون هذه الألفاظ عربية وذلك أن لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا وأكثرها ألفاظًا، ولا يحيط بجميع علمه

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٢٤٦) ط: دار ابن الجوزي.

(٢) «الرسالة» (٤٠-٤٢).

obeikandl.com

إنسان غير نبي، ولا يمتنع أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلًا من اللسان العربى كما يتفق القليل من ألسنة العجم المتباينة في أكثر كلامها مع تنائي ديارها واختلاف لسانها.

ثانيًا- أن هذه الألفاظ التي يقال إنها أعجمية لا يمتنع أن تكون عربية وأن يكون لها معنى آخر في لغة أخرى فمن نسبها إلى العربية فهو محق، ومن نسبها إلى غيرها فهو محق.

ثالثًا- أن هذه الألفاظ أصلها غير عربي ثم عربتها العرب واستعملتها فصارت من لسانها[(١)].

فالمقصود أن القرآن كله عربي خالص اللغة العربية أفصح اللغات وأكملها وأوسعها وأدقها.

٦- من خصائص القرآن أنه متواتر لفظًا ومعنى: فقد نقله قوم لا يتوهم اجتماعهم على الكذب لكثرة عددهم وتباين أمكنتهم عن قوم مثلهم وهكذا إلى أن يتصل النقل برسول الله ﷺ، قال الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم: روعي في تسمية القرآن قرآنًا كونه متلوًا باللسان، كما روعي في تسميته كتابًا كونه مدونًا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعنى أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجتمع عليه من الأصحاب رضي الله عنهم المنقول إلينا جيلًا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

---

(١) «معالم أصول الفقه» لمحمد بن حسين الجيزاني (ص:١٠٣)، (ص:١٠٤) ط: دار ابن الجوزي.

obeikandl.com

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بقي القرآن محفوظًا في حرز حريز إنجازًا لوعد الله الذي تكفل بحفظه(١).

إن القرآن قد نقل إلينا بحفظ الكثرة الكاثرة من ألوف الرواة في كل جيل من هذه الأمة المباركة الولود المعطاء، ففي كل طبقة من الأجيال السالفة أخذه كل تلميذ عن شيخه وحفظه لمن بعده وكل حاصل على إجازة وإسناد فهو متصل السند إلى رسول الله ﷺ وهم اليوم مألوف وهم في السابق اللاحق كذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والقرآن الذي بين لوحي المصحف متواتر فإن هذه المصاحف المكتوبة اتفق عليها الصحابة ونقلوها قرآنًا عن النبي ﷺ وهي متواترة من عهد الصحابة نعلم علمًا ضروريًا أنها ما غُيِّرت(٢).

٧- **القرآن كتابٌ عالمي**: ليس القرآن كتابًا خاصًا بطائفة دون أخرى ولا بجنس من الخلق دون آخر، بل القرآن كتاب من الله إلى كل العالم العربي والعجمي وكل الإنس وكل الجن وهذه من خصائص القرآن وخصائص الرسول محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]

وقال الله جل جلاله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. فليس القرآن للعرب وحدهم، بل هو لكل عاقل ناطق مكلف من الإنس والجن كما أن محمدًا ﷺ ليس نبيًا للعرب فقط بل هو آخر الرسل وخاتم الأنبياء وقد أرسل إلى الخلق كافة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) «النبأ العظيم» (١٢-١٣) ط: دار القلم.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦ / ٦٨٥) ط: العبيكان.

وقال جل ذكره: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف :١٥٨].

والآيات في عالمية القرآن كثيرة، وتلك من خصائص القرآن التي لم تكن لكتاب قبله ولا تكون إلا له إذ ليس بعده كتاب، فهو الكتاب الإلهي الرباني الوحيد الموجَّه إلى الخلق كافة، ومن هنا يجب على المؤمنين العالمين بلغات العالم ترجمة معاني هذا القرآن العظيم إلى لغات البشر المختلفة إقامة لحجة الله على خلقه.وقيامًا بوظيفة البلاغ التي أناطها الله جل جلاله بهذه الأمة المباركة والذين هم أرحم الناس بالناس وأحرص الناس على الناس.

٨- القرآن هو رسالة الإصلاح الربانية: التحليل والتحريم تشريع إلهي لا مجال للعقل فيه، وصلاح الفرد والأمة مرهون باتباع أمر الله والإذعان له، والقرآن قد اعتبر الإنسان محور هذا الكون وأن كل ما فيه مسخَّر لخدمته وعلى الإنسان أن يحسن النظر في ملكوت الله وأن يفكر في بديع صنع الله في الكون وفي الإنسان من غير حدود، كما دعا القرآن هذا الإنسان إلى الاستقراء والملاحظة والتجريب، وأما الأمور الغيبية فلا مجال للعقل فيها.

لذلك فليُعلم أنه لا راحة للبشرية ولا طمأنينة لهذا الإنسان ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة ولا شفاء للأدواء التي تعاني منها الإنسانية إلا بالرجوع إلى الله تعالى، والرجوع إلى الله يعني العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي أوضحه في كتابه.

٩- القرآن هو أعظم الكلام أثرًا في النفوس و القلوب:

للقرآن أثره العظيم في القلوب وله سلطانه القوي على النفوس ولذلك كان المشركون يمنعون أبناءهم ونساءهم من سماعه خوفًا منهم أن يستول القرآن على وجدانهم ومشاعرهم و ليس أدل على هذا الأثر من إسلام عمر وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير بعد سماعهم للقرآن فلم يستطيعوا مقاومة هذا الأثر في قلوبهم.

١٠- القرآن أساس النهضة وسرُّ الحياة:

بالقرآن استطاع المسلمون أن يحكموا العالم، وقدموا للإنسانية نموذجًا فريدًا من الحكم العادل والسياسة الرشيدة وهذا النموذج لم تعرف البشرية من نظيرًا قبل ولم يخطر لها على بال قط.

وبالقرآن استطاع المسلمون أن يصمدوا أمام الغزوات والضربات الموجعة التي وجهت إليهم على مرِّ العصور والأزمان، وما كان ذلك إلا برجوعهم إلى القرآن وتمسكهم به، ولذا كان سبب التخلف الذي لحق بالمسلمين هو التخلي عن القرآن الكريم وتنحيته عن المجالات المختلفة في الحياة، وإن إصلاح الحاضر الذي ارتكست فيه الإنسانية اليوم لن يتم إلا بالإيمان بالله وتحكيم كتابه.

رابعًا- أوصاف القرآن:

لقد وصف ربنا العليم الحكيم كتابه الكريم، بكل وصف نبيل عظيم، جليل جميل يدل على عظمة وجلال وقدرة وحكمة من تكلم به سبحانه وبحمده.

وهل عرفت الدنيا كتابًا أقوم وأبقى من القرآن؟!

وهل وعى التاريخ كلامًا أحسن وأبلغ وأهدى من القرآن؟!

وهل اهتدت القلوب والعقول واستفاقت بمثل القرآن؟ إن أعظم ما نطق به لسان كلام الرحيم الرحمن جَلَ جَلاَّله.

وإن أمتع وأروع ما سمعته الآذان هو القرآن، وهو أنجع دواء، وأنفع شفاء، وأروع بيان، وأنصع برهان، فيه الحق والحكمة، فيه الخير والرحمة.

فيه النور والهداية، والصدق والعدل، والبلاغة والبيان، والثبات على الإيمان، والطمأنينة والسكينة، والحياة الحقيقية والسعادة الأبدية لأنه كلام ربي وكفى!

obeikandl.com

وهذه بعض أوصاف كلام ربنا من كلام ربنا لعل القلوب تمتلئ بعظمة القرآن وحب القرآن وتوقيره فتسارع لتكون من أهله وتديم تلاوته وتدبره وتستقيم على هديه وحكمه.

وصف الله القرآن بأنه مجيد أي كريم عظيم فقال تعالى: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ [قٓ :١]

وبأنه حكيم فقال تعالى: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يٰسٓ :١-٢] ووصفه بأنه مبارك والبركة ثبات الخير في الشيء ودوامه فقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأنعام :١٥٥].

ووصفه بأنه عزيز أي منيع الجناب لا يستطيع أن يأتي أحدٌ بمثله لأنه منزل من رب العالمين قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت :٤١-٤٢].

وكذا وصفه الله تعالى بأنه نذير وبشير فقال ربنا الحكيم الخبير: ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [فصلت :٣-٤].

ووصفه ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- بأنه قيِّم لا عوج فيه ولا انحراف ولا ضلالة فقال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴾ [الكهف :١-٢].

ونفى الله عن كتابه وكلامه الريب، فلا شك فيه ولا ارتياب ونفي الريب يستلزم ضد ذلك وهو اليقين فهذا الكتاب هو القرآن لا شك فيه أنه نزل من عند الله قَالَ تَعَالَى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة :١-٢].

وقال جل ذكره: ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [السجدة :١-٢] ووصف الله القرآن بأنه برهانٌ ونور أي دليل قاطع للغدر وحجة مزيلة

للشبهات، وضياء واضح على الحق قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء :١٧٤].

وتأمل كيف أن ربنا جل وعلا قد قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ولم يقل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فالقرآن حجة على الخلق كافة، ورسالة من الله إلى الناس كلهم كما قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان :١].

وقوله تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام :١٩].

فكل من بلغه القرآن صار حجة من الله عليه.

ولهذا وصف الله كتابه أيضًا بأنه بيان للناس وموعظة بليغة للمتقين من عباد الله قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٨].

وبيّن الله تعالى أن من أوصاف القرآن أنه تبيانٌ لكل شيء فقال رب كل شيء سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾.

[النحل :٨٩]

وقال ربنا ورب كل شيء: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ [الأنعام :٣٨].

كذلك من أوصاف القرآن أنه نور قال الحكيم الغفور في كتابه المسطور: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف :١٥٧]

ومن العجيب أن نفس الرقم لهذه الآية في سورة الأنعام تجد فيه وصفًا للقرآن بأنه بينة من الله وهدى ورحمة فقال تعالى: ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴾ [الأنعام :١٥٧]، وتأمل رقم هذه الآية والسابقة.

obeikandl.com

وفي نفس السورة وقبل هذه الآيات بآيات يقول رب الأرض والسماوات واصفًا كتابه المجيد بأنه مفصَّل ومنزل من عنده وبأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى في ذلك الزمان يعلمون أن القرآن منزل من عند الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٤-١١٥].

والقرآن موصوف بأنه عجب أي من العجائب الغالية والمطالب العالية والقرآن يهدي إلى الرُّشد والرُّشد اسمٌ جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم وبهذا الوصف وصفت الجن كلام الله جل جلاله حينما سمعوه من النبي محمد ﷺ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١-٢].

وهذا يشبه قول الله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

[الأحقاف: ٢٩-٣١]

ومن أوصاف القرآن أنه قولٌ ثقيل أي إن معانيه عظيمة وأوصافه جليلة، وما كان بهذا الوصف المهيب حقيق بأن يُتهيَّأ له ويُرتَّل ويُتفكر فيما يشتمل عليه.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا» قال الحسن وقتادة: أي العمل به، وقيل: ثقيل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنزل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خِفْتُ أن ترضَّ فخذي»(١).

ثم قال: واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معًا كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين(٢).

ومن أوصاف القرآن أنه بصائر من الله جل جلاله لعباده فهو أعظم المعجزات وأبين الدلالات، وأصدق الحجج والبينات، يستبصر به المؤمنون في جميع مطالبهم ويستضيئون بنوره في حياتهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

ووصف الله القرآن بأنه كريم ووصفه بأنه مبين وعظيم فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

وبين ربنا جل وعلا أن القرآن ذو شرف عظيم ومكانة لا تطال ومنزلة رفعية عالية سامية لا تدرك. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

قال الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله: بين شرفة في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي اللوح المحفوظ

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٥٩٢].

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٨/ ١٩٧-١٩٨) ط: التوفيقية.

قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ﴿لَدَيْنَا﴾ أي عندنا قاله قتادة وغيره ﴿لَعَلِيٌّ﴾ أي ذو مكانة وشرف و فضل قاله قتادة أي محكم بريءٌ من اللبس والزيغ وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله(١).

والقرآن موصوف بأنه هدى ورحمة للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٦-٧٧].

فالمؤمنون المصدقون بالقرآن والذين تلقوه بالقبول وتدبروه تحصل لهم به الهداية من الضلالة والغَيِّ والتيه وتطمئن به صدورهم وتستقيم به أمورهم وتسعد به حياتهم.

والقرآن هو الحق.. وهل هناك كلام أحق بأن يوصف بالحق من كلام الحق جل جلاله؟! قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]، هذا القرآن هو الحق الذي ما انطمس ولا اندرس وما بدل فيه حرف عن حرف ولا كلمة منذ أن بزغ نوره وأشرق ضياؤه حيث أقبلت إليه نفوس زكية تزداد بهدايته زكاة واستقامة وهدى ونورًا. هذا هو الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

هذه بعض أوصاف القرآن وهي من كلام ربنا سبحانه أعظم وأصدق من تكلم، وأجل وأعلى من أفهم وفهَّم، وهدى وعلَّم.

فسبحان من يسَّر كلامه للأفهام، وأقامه حجة على الخلق مدى الزمان والأيام!

---

(١) «المصباح المنير» (ص١٢٤٠) ط: دار السلام.